اللغة العربية أسمى اللغات وأكملها
ولكن ضعفها في عدم نقل المراجع العلمية إليها .

الأستاذ روكس بن زائد العزيزي

عمـــان (الاردن)

لقد اصبح عصرنا يتطلب منا النظر في كـــل شيء ، على ضوء التطورات التـــي شملت الحياة ، اصولا وفروعـــا .

ولعل لغتنا الشريفة ، التي قدمت للعالم خيـــر ما قدمته لغة ، من اولى امورنا بالاهتمام . من اجـــل هذا اتقدم للاجابة على هذه الاسئلة بما هداني الله اليه ، واملته علي الخبرة الطويلة ، في خدمة هـــذه اللغة التي شرف الله ذكرها فأقول :

1) اعتقد ان اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها بسرعة في العالم تتلخص في ما يلـــي :

أ ــ في خطنا العربي الذي دعاه ــ قبل اليوم ــ البيروني « آفة » لتشابه حروفه ، ولاضطرارنـــا ان نستخدم لكل حـــرف ثلاث صور ، ولكونه عاجزا عن تأدية جميع ما ننطق به من اصوات . حتـــى اصبـــح اكثر ابناء العروبة عاجزين عن النطـــق الصحيـــح بلغتهم .

ب ــ في النحو العربي ، الذي اخرج قواعد لغتنـــا عن خدمة اللغة وحول القواعد الى منطق وفلسفة ، واحيانا الى محاكات بيزنطية ، حتى شاع قولهـــم « اوهي من حجة نحوي » .

ج ــ في المعاجم محتوى وترتيبـــا .

د ــ في معلمي اللغة العربية .

هـ ــ في كتب التدريس المرتجلة .

و ــ في المناهج التي لما تصل الى درجة النضـــج بعـــد .

ز ــ في اسلوب تعليمنا لهذه اللغة ، الذي لـــم يتطور .

2) اما المشاكل التي تعترض سير اللغـــة العربية ، فانجع الحلول في نظرنا هي :

ان خطنا العربي فيه صعوبات ، لاننا لم نضعه ــ اصلا ــ من عند انفسنا ، بل هو متطور عن الخط النبطي ، الذي كان شائعا في الجهة الشمالية مـــن الجزيرة العربية ، وليس هو متطورا عن الخط الكوفي كما يظن بعض الباحثين . لان الخط الكوفي اصـــلا كان خاليا من احرف العلـــة .

وقد كان لسان هؤلاء النبط الذين اخذنا خطنا عنهم ، قريبا من العربية ، ان لم يكن عربيا مشوبـــا بالعجمة ، وهؤلاء النبط ليسوا نبط العراق والبطائح والنبط اقتبسوا حروفهم من الارميين ، والارميـــون اقتبسوا خطهم من الفينيقيين ،

وقد اتخذ اجدادنا حروف اولئك القوم وكتابتهم، على الترتيب الذي كان مستعملا عند اولئك الاقوام ، ثم زادوا احرفا لم تكن موجودة فيما اقتبسوا .

اما الخط المسند الذي كان شائعـــا في اليمن ، فليس له اثر في خطنا العربي ، فقد كانت حروفـــه تكتب منفصلة ، غير مرتبطة ، وكانوا يمنعون العامة عن تعلم كتابته ، ولم يكن احد يجرؤ على استعمـــال الخط المسند دون اجازة ، فلما جاء الاسلام ، لم يكن في اليمن نفسها من يعرف قراءة الخـــط المسنـــد او كتابته ، ولعل اسلوبهم كان صوتيا .

على اي حال ، فان العرب ، لم يقيدوا كـــل الحروف التي كانوا ينطقون بها يومذاك ، ولا صوروا الحركات المختلفة ، فكانوا يصورون الحروف التـــي لا صورة لها عند النبط ، وعند الارميين وعند الفينقيين بحروف تقاربها صوتا، وصنعوا مثل ذلك في الحركات، معتمدين على التلقين والرواية والسماع ، فضاع من

اللفظ العربي الصحيح ، شيء كثير . ولاسيما من لفظ اولئك الذين ما كان يتاح لهم أن يتلقوا النطق بالحروف من الراسخين فى العلم . بل عن اناس لم تخلق حناجرهم وحلوقهم للاصوات العربية ، خاصة والسامية عامة . او الجامعة بين الحروف السامية واليافثية او السامية والحامية ، معا .

* * *

وعجز حروفنا عن تصوير لهجآتنا تماما ، افقد لغتنا كثيرا من محاسنها . وعجز ابناؤنا عن النطق ببعض الاحرف الافرنجية ، التي كانت بدون شك موجودة فى لغة اسلافنا !..

فليس فى حروفنا ما يصور هذه الاحرف الفرنسية : (E. G. J. O. P. U. V.)

وليس هنالك ما يصور الالف المفخمة فى اسم الجلالة (الله) و (الصلاة) ، فهذا الذي نسميه الاشمام، يجب ان يكون له علامة فى الخط تشير اليه .

* * *

وليس من رأيي أن نهجر الخط العربي متجهين الى الحرف اللاتيني ، لما فى ذلك من محاذير ، اقلها :

1) اننا نتخلى عن مظاهر عزة قومية . ما زال يقر لنا بها الفرس ، وغيرهم من الامم التي تستعمل خطنا ، حتى المورو فى الفلبين ، ومع كل ما فى خطنا من صعوبات ، لم يحاول هؤلاء الاقوام تركه ، فهل نكون نحن أقل منهم اعتزازا بتراثنا ؟

صحيح ان الترك العثمانيين هجروا خطنا ، لكن ذلك له اسباب سياسية — فى اعتقادي — اكثر من كونه هربا من صعوبة الخط العربي ومشاكله .

2) ان التخلي عن خطنا ، يقطع صلتنا بتراثنا القديم !..

3) ان اهمال خطنا العربي يقضي على اللهجة العربية الصحيحة وهي مزية من مزايا هذه اللغة الموسيقية الشعرية .

فمن اجل التخلص من مشاكل خطنا ، ارى أن نكتب خطنا مضبوطا بالحركات ، وضوابط القراءة ، لان اهمالنا تلك الامور يجعل خطنا شبيها بالاختزال، ويفرض على الذي يريد ان يقرأ خطنا العربي ، ان يفهم قبل أن يقرأ ، مع ان المفروض فى كل لغة ، ان يقرأ الناس ليفهموا . وهنا لابد لي من ايراد طرفة تروى عن المرحوم (ابراهيم اليازجي) ، يقال : « ان المطران طلب من ابراهيم أن يقرأ فصلا من الانجيل فى الكنيسة ، — ومن المعلوم أن اليازجي هو الذي نقح للكاثوليك ترجمة الكتاب المقدس — فاعتذر ابراهيم قائلا : « اتريد ان تفضحني ، ليقول الناس ان اليازجي لا يعرف القراءة ؟ لماذا لم تخبرني قبل هذه اللحظة ، لاستعد لما تريدني ان اقرأ ؟ !! ..

* * *

فاذا كان اليازجي يقول هذا القول ، فماذا نتوقع من ابنائنا ، ومن الاجانب الذين يرغبون فى تعلم لغتنا ؟

فعلاجا لهذا ارى ان لا تكتب ، ولا تطبع كلمة ، بلا ضبط تام . الا نرى ان الاجانب اذا كتبوا لم يهملوا من خطهم حركة ، ولا اشارة تشعر بالمعنى الذي اليه يقصدون ؟ ..

ب — انتهينا من مشكلة الخط وعلاجها ، ونتقدم الآن الى مشكلة النحو ، وهذه المشكلة ، لا تقل تعقيدا عن مشكلة الخط ، ولعلها تفوقها ، فلقد عقد النحويون نحونا تعقيدا جعله يفقد اللغة جمالها وسحرها ، ويقف عقبة فى سبيل انتشارها ، فاذا كان الكسائي يقول :

« أموت وفى نفسي شيء من حتى !...» فماذا ننتظر نحن الذين قضى علينازمنناالمسرع فى كل شيء، أن ننصرف عن بذل اعمارنا فى سبيل تحصيل نحونا .

وقد جاء فى كتاب الرد على النحاة ما نصه :

« اني رأيت النحويين قد وضعوا صناعة النحو لتحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته من التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا ، وانتهوا الى المطلوب الذي ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها ، فتوعرت مسالكها ، ووهنت معانيها ، وانحطت عن رتبة الاقناع حجتها ! » .

وجاء فى كتاب الحيوان للجاحظ : « وقد غالى بعض النحاة فى تعقيد صناعة النحو ، وزاد غموضها، لاسباب خاصة » .

وذكر الجاحظ ، انه سأل الاخفش قائلا : « انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة ، وما بالنا نفهم بعضها ، ولا نفهم اكثرها ، وما لك تقدم بعض العويص ، وتؤخر بعض المفهوم ؟ » .

فكان جواب الاخفش : « انا رجل ، لم اضع هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه ، لقلت حاجات الناس فيها . وانما كسبت فى هذا التدبير ، اذ كنت الى التكسب قد ذهبت » .

ويرى الاستاذ رشاد دارغوث ، ان علماء النحو الاجانب عقدوا النحو هذا التعقيد للنيل من اللغة العربية التي هي عامل مهم فى القومية ! ..

وانا ارى بتحفظ شديد ، ان الاجانب قد عقدوا النحو هذا التعقيد ليقنعوا العرب ان تعاظمهم على الاجانب ليس فى محله ، ما داموا عاجزين عن فهم لغتهم !

* * *

فلقد اصبح من الواجب علينا ان نواجه مشكلة النحو بجراة ، فنجعل للقرآن الكريم نحوا خاصا به ، ونحذف من النحو هذه الامور :

ا ــ نحذف باب الممنوع من الصرف اطلاقا ، لانه ورد فى القرآن الكريم تنوين الممنوع من الصرف : « انا اعتدنا للكافرين **سلاسلا** ، واغلالا وسعيرا

« سورة الدهر ، الآية الرابعة » .

ب ــ نلغي باب الاشتغال الغاء تاما او على الاقل نكتفي بالمشغول عنه الواجب رفعه ، والمشغول عنه الواجب نصبه .

ج ــ نلغي باب التنازع .

د ــ نهمل الاعراب المحلي والاعراب التقديري.

هـ ــ نلغي نون النسوة ونخاطب الذكور والاناث خطابا واحدا .

و ــ نجعل الوقف كله بالسكون ، فقد ذكر ابن جني فى الجزء الاول من كتابه الخصائص ، ان العرب وقفوا على المنصوب بالسكون فقالوا :

« رايت فرح ، ورايت زيد ! »

ز ــ استعمال العدد من المذكر ومع المؤنث بلفظ واحد ، فماذا يضرنا لو قلنا « ثلاثة رجال ، وثلاثة نساء ، واربعة عشر رجلا ، واربعة عشر امراة » وتخلصنا من هذه المشكلة التي كان الغرض الاساسي منها تعظيم الرجال او الذكور ، وتفضيلهم على الاناث ، لان هذه التاء ــ فى رايي ــ هي تاء تعظيم لا تاء تانيث . وما دمنا قد استعملنا تاء التعظيم للمذكر وللمؤنث على حد سواء فى غير هذا المقام ، كقولنا :

« رجل علامة ، وامراة علامة ، ورجل رحالة ، وامراة رحالة .» فما الذي يمنعنا من استعمالها فى العدد تحاشيا للصعوبة والتعقيد ؟ مع ابقاء تاء التانيث فى (1 و 2) والعد الترتيبي .

س ــ اما مشكلة عين الفعل المضارع ، فارى ان يصار الى حلها ما دام العرب قد اجازوا فى الذي ماضيه مفتوح العين ، وليس ثانية ولا ثالثة من حروف اللين او الحلق ، اجازوا فيه الكسر والضم ، فلماذا لا نصنع صنيعهم ؟

فلقد قالوا : « ضرب يضرب ويضرب ، شكر يشكر ويشكر ، ونفر ينفر وينفر ، وشتم يشتم ويشتم. (بكسر عين الكلمة وضمها) .

ط ــ ثم ارى ان نثبت على وجه واحد من الاعراب ، فلا نقول ان هذه الجملة تحتمل ستة اوجه من الاعراب (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذه تحتمل اربعة اوجه من الاعراب (نعم الرجل علي) .

لقد اضحى من واجبنا ان نغربل قواعدنا ، قبل ان تجيء الكارثة ، وهي اعراض ابنائنا عن لغتنا اعراضا كليا ! لا سمح الله .

* * *

ح ــ اما مشكلة المعجم العربي ، فلا تقل عما ذكرنا من مشاكل الخط ، والنحو . فعلى الرغم مما فى طريقة معاجمنا من المنافع ، واهمها : ــ الفائدة التعليمية ، لان الاصل الواحد ، يمكن الذي يريد تعلم العربية ، من معرفة جميع الالفاظ التي هي من اصل واحد ، الامل الذي لا وجود له فى اللغة اللاتينية !..

لكن هذه الفائدة تموت اذا علمنا ان معجمنا مغلق دون المبتدئين حتى ان بعض العلماء احيانا يعجزون عن استخراج كلمة فى معجم مثل اللسان مثلا، او صحاح الجوهري . كما حصل مع المستشرق الكبير ، المرحوم نلينو فى المجمع العلمي المصري ، يوم اعترض على اقتراح تقدم به المرحوم الاب انستاس

ماري الكرملي ، بجعل احرف الكلمة كلها اصولا ، والتنبيه على الاصل فى نهاية البحث . فقال الاستاذ (نلينو) : « ان هذا كفر بعبقرية السلف!» فطلب منه الاب الكرملي ، ان يدله على هذه الكلمات فى لسان العرب (تترى ، متة ، فعجز !)

ونحن اذا اردنا ان نبحث عن اسم (معاوية) وجب علينا ان نبحث عن فعل (عوى) لنجد ضالتنا !

هذا فضلا عن أن معاجمنا المطولة لا تفيدنا فى البحث عما جد فى اللغة من اصطلاحات عصرية ، فضلا عن خلوها من الاصطلاحات العلمية والفنية .

ان معجمنا لا يساعدنا على تقدير قيمة الوقت ، فصار من اللازم علينا ان نرتب معاجمنا على اساس ان الاحرف فى الكلمة كلها اصول ، وننبه على الجذر فى نهاية البحث . كما انه يجب علينا خدمة للغة ان نحذف الكلمات المهجورة من المعاجم التي يفرض تداولها فى المدارس .

وقد آن لنا أن نضع قاموسا استقصائيا يتتبع الكلمات من الناحية التاريخية ، ومن هنا يتحتم علينا أن نضع معاجم فى لهجاتنا العامية لتكون عونا لنا فى وضع المعجم الاستقصائي هذا !

* * *

د — هناك نكبة لا تقل عما تقدم ، وهي نكبة اللغة العربية فى معلم اللغة العربية فى الصفوف الابتدائية ، واحيانا فى الصفوف الثانوية ، فقد يكون المعلم قليل المحصول من اللغة ، ولجا الى التعليم على أنه وسيلة ارتزاق — وما اكثرهم — فهذا يقتل اللغة العربية قتلا ويئدها فى نفوس ابنائنا وادا ، لانه يغرس فى نفوسهم روح الكراهية لها ، ويجعلهم يتصورون أن لغتنا طلسم مغلق ! فيصل الطالب الى الجامعة وهو ناقم على لغته !

اذكر اني سمعت معلما فى كلية ، يقول للطلاب:

« قاتلكم الله ، وقاتل « احرنجم » — وهو يعني اللغة العربية — معكم ، انا عارف ماذا يمكن ان تفيدكم احرنجم فى الحياة ! ؟

فاذا نكب الطلاب بمثلا يكتفي بأن يكون جاهلا ، بل يزرع العداء فى نفوس الاجيال الناشئة نحو لغتهم، فقد تمت النكبة !

فاذا قتلت اللغة العربية فى الصفوف الابتدائية والصفوف المتوسطة والصفوف الثانوية ، فمعنى هذا ان الجامعة لا تستطيع أن تقوم ذلك الاعوجاج !

اما كتب تدريس العربية ، فحسبنا ان نطلع منها على ما ينشر وفقا لمناهج بعض وزارات التعليم، وباشرافها ، لنرى الارتجال ، والاخطاء الكثيرة ، والتصحيف المخيف .

* * *

لقد اقفلت بعض وزاراتنا العربية باب المنافسة، واغلقت باب الاجتهاد والابتكار . فاذا كان التأميم جائزا فى كل ناحية فى الحياة ، فما اعتقد انه يجوز لنا أن نؤمم العقول ونجمد الافكار ، ونحارب الابتكار مهما تكن الحجة التي نستند اليها تبريرا لما نفعل !

ان الحجة التي يتذرعون بها ، انهم يريدون توحيد الثقافة . فتوحيد الثقافة يمكن ان يتم باتفاق البلاد العربية ، بحيث تختار لجانا محايدة تدرس كل ما يقدم اليها من كتب ، وتوحي باستعمال خير الكتب، من غير تقيد بالاقليمية .

فقد يستفيد بلد تعوزه الخبرات بخبرات بلد متقدم ، وقد نستفيد بخبرة معلم او كاتب بسيط بما لا نجده عند غيره ، فلماذا تحصر جهودنا فى موظفي الحكومات وحدهم ؟

ولهذه المناسبة ارى من واجبي ان انتقد بشدة فكرة تأميم الكتاب المدرسي والوقوف وراء الكتاب المؤمم وفرضه بسلطة القانون ، ومطاردة المدرسة او المعلم الذي يشذ عنه وكأنهما يهربان المخدرات ؟ ان فى ذلك تأميما للعقل ، وتجميدا للمواهب !

* * *

و — والمناهج المقررة — ان فى المناهج المقررة ، فى كثير من بلادنا العربية حشوا لا علاقة له بالحياة ، وهذه بعض رواسب الاستعمار ، وهو يقتل فى ابنائنا رغبتهم فى مواصلة الدرس ، ويميت فيهم حب المطالعة، التي هي السبيل الصحيح الى الثقافة الحق !

فلقد اصبحت المناهج والمدارس فى كثير من البلاد العربية لا تهتم الا بالعلامة وبالامتحان ، وبالشهادة ، وصار ابناؤنا تبعا لذلك لا يهمهم الا الحصول على الشهادة ، فيضعونها فى اطار مزخرف ثمين ، ويعلقونها فى غرفة الاستقبال ، او فى مكاتبهم وكفى الله المؤمنين القتال !

* * *

ز ـــ واسلوب التعليم فى بعض البلاد العربية ما زال عتيقا ومنفرا ، فكل فرع من اللغة العربيـــة يدرس على انفـــراد ، وهذا يجعل موضوع اللغـــة العربية كالجسم المصاب بمرض (التغيف) كل عضلة وحدها سليمة ، وكل خلية سليمـــة ، ولكن هـــذه العضلات والخلاياوالاعصاب، لا تأتمر باوامر الدماغ، فالجسم سليم شكلا ، لا خير فيه ولا صحة له فعلا !.

* * *

3) أما هل تصلح اللغة العربية للتدريـــس الجامعـــي فعلـــى الرغم من شهادة المستشـــرق فانديك القائـــل :

« ان اللغة العربية هي اللغة الخالدة ، او هي احق اللغات بالحياة والبقاء ! » وعلى الرغم مـــن شهادة الاب انستاس ماري الكرملي المعززة بكتابه الخالد ، (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) انها اعظم اللغات واسمى اللغات واكملها ، وانها قادرة على ان تعبر عن نفسها فى كل علم وفى كل فن ، لمـــا ركب فيها من الاشتقاق ، والابدال ، والتصعيـــد ، والتوليد ، والقياس ، والنحت والالحاق !

وعلى الرغم من غنى لغتنا الذي لا يكاد يدانيه غنى ، فى النواحي العاطفية والانسانيـــة والفقهية ، فانها فقيرة الى حد مخيف من الناحية التقنية ، وليس هذا عيبا فى طبيعة اللغة يدعونا الى الخجل ، انـــه عيب الظروف التي فرضت على هذه اللغة وعلـــى اهلها نومة الخمول اجيالا ، جعل اللغات الحية تتقدم، ولغتنا تجمد ، وليس فى مكنتها ان تعوض عن نومتها التي استمرت نحوا من ثمانية قرون ، فى سنيـــن معدودات مهمـــا بـــذل اهلها مجتمعين من جهود فى الترجمـــة !

* * *

اجل ان هذا ليس عيبها ، بل هو عيب لاضطراب الاوضاع فى البلاد العربية واللغة صورة لحالة ابنائها الاجتماعية والدولية ، فلما كنا اصحاب سيادة عالمية ، كان الناس يتعلمون لغتنا ، ولا ينظرون الى الصعوبات بل المشقات التي يلاقونها فى هذا السبيل .

ودليلنا على ذلك ان القبـــط يوم خضعـــوا لحكمنا ، كتبوا كتبهم بالعربية ، ليفهمـــوا قومهـــم . والكهنة فى اسبانيا كتبوا كتبهم بحـــروف عربيـــة ، واصبحوا كلهم يتكلمون العربية !..

أما اليوم ، فنحن ما زلنـــا نكافح الاستعمار ، ونحن فى حاجة الى العالم ، وليس عندنا ـــ فى الوقت الحاضر ـــ ما نفرض به سيادتنا على الدنيا ، ليجـــد الناس انهم فى حاجة الى تعلم لغتنا ! .. فاللغة صورة لمكانة اهلها فى الدنيا ! ..

مع هذا فقد جربت الجامعة السورية تجربتهـــا الداشنة ، بتعليم الطب باللغة العربية ، واستطاعت ان تجد فى اللغة العربية اصطلاحات كثيرة لان العرب قدموا للدنيا فى الطب وفى سائر العلوم فى القـــرون الوسطى خدمات برهنت على انه لولا العرب لتأخرت نهضـــة اوروبـــا اجيالا !

لان اللغة العربية كانت المصدر الرئيسي الذي اعتمدت عليه أوروبا فى القرن السابع عشر ، وكان الذي يريد ان ينهل العلم والمعرفة ، لا مندوحة لـــه عن معرفة اللغة العربية ، لكن اقتصار الطبيب علـــى اللغـــة العربيـــة وحدها يجعله فى عزلـــة عن تطور العلم !

ومهما تكن لغتنا غنية وصالحـــة للتدريس فى الجامعة ، فان هذا لا يغنينا عن اتقان لغة اجنبيـــة على الاقل مع لغتنا العربية .

والبرهان على ان لغة واحدة لا تكفي فى عصرنا الحاضر ، ان الذي يرغب فى الحصول على الدكتوراه فى اي علم من العلوم فى بريطانيا وفى امريكا ، **يجـــب عليه ان يتقن الى جانب لغته الام لغتين من اللغـــات الحية** . فالذي يريد أن يواكب سير العلم ، لا تكفيـــه لغة واحدة لمتابعة خط اختصاصه ، لا اقول هـــذه بالنسبة الى اللغة العربية وحدها ، لكنه بالنسبـــة الى ايـــة لغة فى الدنيا اطلاقا .

* * *

ان المراجع العلمية من كتب ومجلات لم تنقل الى اللغة العربية ، فاذا كنا نرضى للعالـــم العربـــي ، ولجامعاته ان تعتمد علـــى ما ينشر فى اللغة العربية وحدها ، نكون قد فرضنا على امتنا التوقعة والعزلة المجمدة . لان **عناصر البحث العلمي مفقودة او هـــي كالمفقـــودة فى بلادنـــا** ، فليس هنالـــك مجلات ذات اختصاص ، يكتب فيها جماعة من الحجج فى كـــل موضوع يتصدون لـــه .

وتدريس العلوم يحتاج الى مصادر كثيرة فى كل منحى ، فى اللغة التي يدرس فيها العلم ، لان الاقتصار على محاضرات الاستاذ ، لا يعني فى رأيي ســـوى تجميد الملكـــات فى حيـــز ضيق !

وان الذي يطلع على الكتب المؤلفة فى البـــلاد العربية يتولاه الذهول لما يرى بينها من الفروق . حتى الكتب التي يسلخها بعض المؤلفين سلخا ، تشـــوه تشويها يفوت المنفعة منهـــا .

* * *

يجب علينا أن نقر **بأن لغتنا فى كثير من النواحـــي عاجزة عن متابعة العصر ، لاننا نحن ما زلنا نعيش فى عقلية قبليـــة** ؛ يدل على ذلك ما عندنا من توانين مزدوجة ؛ فللحضر قانون ولابناء البادية قانون . ولغتنا فى الناحية التقنية (التكنولوجية) خالية تماما من اصطلاحات هذه العلوم التي اصبحت تفرض نفسها على الحياة العصرية ؛ لابد لنا مـــن دراستهـــا فى الجامعات الاجنبية ؛ ولدراستها فى الجامعات الاجنبية، لابد لنا من اتقان لغة اجنبية اتقانا تاما .

وتول من يقول ان فى استطاعتنا ان ننقل العلوم الى لغتنا ، يكاد يكون حلما من الاحلام ، التي ليس لها ابن سيرين يعبرها . لان تقـــدم العالم السريـــع لا يسمح لنا بذلك ، حتـــى ولو وقفنـــا جهودنا كلهـــا على هذا الغرض . اجـــل حتـــى ولو لـــم نفكـــر فى مشاكلنا السياسية ، ولا فى امورنا الاقتصاديـــة ، ولا قضايانا الاجتماعية ، فان البهر يتولانا ونحن نحاول تلك المحاولة التي ستحظـــى بالفشل !

لكن مع كل هذه العراقيـــل والمثبطات ، فـــلا أرى أن نعود قانعين بالهزيمة ، فلتلق المحاضـــــرات باللغة العربية مع الاعتماد على المصادر والمراجـــع الاجنبية بلغاتها الاصلية اقول هذا ، لان رجال العلم عندنا فى كل مطلب ، جل اعتمادهم على المراجـــــع والمصادر الاجنبية ، وليس فى ذلك من عار . بل العـــار فى عدم المضي فى هذا السبيل المفيد ، الى ان نتخطى طور الاستعانة ، ونعتمد على نفوسنا !

4) ان اهم المشاكل التي تعترض الاساتـــــذة الجامعيين فى التدريس والبحث ناجمة عن عدم توافر المراجع فى اللغة العربية ، وفى أن اكثر الاساتـــــذة درسوا دروسهم فى بلاد اجنبية ، واللغة العربيـــة لا تطاوعهم طواعية كافية ، لانهم يفكرون فى اللغة التي تلقوا علومهم فيها . وهذا يجعل اساليب الاساتـــذة متوعرة ، لعدم وضوح الفكرة فى نفوسهم ! فيظـــن السامع ان التعقيد جاء من طبيعة العلـــم ، وهو فى الواقع ناجم عن عجز الاستاذ وقصوره عن ايصـــال افكاره الى السامعين ، بلغة عربيـــة سليمـــة ، لان دراسته لهذه اللغة ، كانت اصلا مهزولة الاســـاس مهلهلة الجوانب . وزادت هزالا وهلهلة يوم تلقى علومه فى جامعات اجنبية . فتلافيا لهذا الخلل يجب ان يفرض على الاساتذة فى الجامعات اتقان اللغة العربية اتقانا لا يقل عن اتقانهم اللغة التي تلقوا دروسهم الجامعية بهـــا .

* * *

اذكـــر اني سمعت محاضرة فى احدى الجامعات باللغة العربية ؛ لدكتور انهى علومه فى بلاد اجنبية ، فشعرت مع خيبة الامل ؛ باشفاق وحزن على الرجل، لانه كان عاجزا عن ايضاح افكاره باللغة العربية !

ولما وجهت اليه الاسئلة باللغة العربية ارتـــج عليه ؛ فكنت اشعر بالحزن العميق من اجل موقفه هـــــذا !...

يقينا ؛ انه لم ينل شهادة الدكتوراه الا بعد ان برهن على أنه يستحقها ؛ لكن جهله باللغة العربية ، جعله عاجزا عن ايضاح افكاره على الرغم من انه كان يستعمل الاصطلاحات كلها كما وردت باللغة الاجنبية.

* * *

5) الواقع ان خوفنا من اقتباس المصطلحات العلمية بلفظها اصبح عندنا عقدة ، لاننا نخاف علـــى سلامة اللغة . وعلى اللغة نفسها ، مع انه ثبت لنا ان القرآن الكريم حفظ هذه اللغة ، لا بل خلدها ، فقـــد انتصرت على كل المحاولات التي دبرت لها فى القديم ، وفى الحديث . ولا خوف عليها من المصطلحات العلمية، لان اللغة الحية ، كالمعدة السليمة ، يمكنها ان تهضم اي طعام وتنتفع به ، ما لم يكـــن هذا الطعام سما . وقد استعمل اجدادنا وهم فى المع ادوار مجدهـــم مصطلحات علمية كثيرة فزادت ثروة اللغة ولم تضرها لا قليلا ، ولا كثيرا . فأصبحت مع الزمن عربية تسير على القياس العربي ، وتطاوعه .

فهذه كلمة فلسفة ليست عربية فلما اخذناهـــا وانتفعنا بها وحرفناها ، فقلنا تفلسف ، وفلسف الامور الى غير ذلك . فلنقتبس المصطلحات العلمية بلفظها ونضع بازائها ترجمات لها ، لان اقتبـــاس تلـــــك المصطلحات يجعل الامر سهلا علينـــا ، ويدمجنـــا فى العالم فقد كفانا ما فرض علينا العالم من عزلة ومـــا فرضنا على انفسنـــا من اعتزال لا خير لنا فيه !..

حقا اني اوثر كلمة (جيولوجيا) على ما فيها من ثقل على ان اقول (علم الهلك) لاني اذا قلت (جيولوجيا) فهم العالم كله ما اريد ، اما اذا قلت (علم الهلك) فلا يفهمها احد .

لقد اصبح من واجب الواجبات على مجامعنا العلمية أن تتخطى الخلافات المحلية ، وان تؤلف لجنة توحد ما تتفق عليه المجامع العلمية من اصطلاحات. ليعرف العربي في اي قطر من الاقطار ، انه يستعمل اصطلاحا يفهمه اخوه العربي — على الاقل — في اية بقعة من دنيا العروبة !

فلو فرضنا ، اننا اقررنا اصطلاحات عربية خاصة باللغة العربية ، فلا اقل من أن تكون مقبولة من العرب كلهم ، وعند كل العرب .

أما ونحن نسير في هذه المتاهة العمياء ، التي تجعل كلا منا يغني على ليلاه ، راضيا بما عنده . فتلك نكبة للغة العربية ، ما بعدها نكبة . لان قيمة المصطلح العلمي هي في تحديد مدلوله ، وليست قيمته كامنة في معناه !

فنحن عندما نصطلح على أن ورقة النقد الفلانية تعدل قيمتها كذا ذهبا ، يمسي اصطلاحنا هذا قيمة اعتبارية لها ، على الرغم من ان قيمتها الحقيقية لا تساوي واحدا على الف من قيمتها الاعتبارية التي فرضناها لها ، وارتضيناها بها .

ويطلب من هذه اللجنة ان توحد اسلوب الاشتقاق والتسمية ، وتثبت القواعد العامة لذلك .

ويطالب منها ان تصدر وضيعة نشره دورية في كل ما تضع ، وما يجد من المصطلحات العلمية ، وتلزم بهذه المصطلحات البلاد العربية ، هذا اذا كنا نريد — ولا شك في كوننا نريد — ان نخدم اللغة العربية والقومية العربية ، ونسهل نمو اللغة ونيسر انتشارها بسرعة .

كما يطلب من هذه اللجنة **ان تسعى لدى وزارات المعارف والجامعات والصحف والمجلات ان تضع في الاستعمال كل ما تقرره المجامع العلمية** ، والا فان الجهود والاموال التي تبذل تذهب هدرا . وتظل تلك الاماني الخيرة احلاما طوباوية لا يمكن تحقيقها .

* * *

خلاصة ما اريد أن اقول :

1 — ان خطنا العربي كما قال البيروني في مقدمة كتابه (الصيدنة) آنة يحتاج الى اصلاح ، واول وسائل اصلاحه ان نكتب كل كلمة مضبوطة بالشكل التام . وان نستعمل في صحفنا ومجلاتنا وفي كتب التعليم عندنا وفي رسائلنا الخاصة الشكل الكامل . وعلامات الترقيم . واذا استطعنا ان نقتصر في حروفنا على صورة واحدة من صوره الثلاث فنكون قد اقتصدنا في الوقت وفي النفقات ستة وستين من الوقت والمال الذي نبذله الآن .

2 — ان قواعدنا في حاجة الى غربلة وحذف ابواب كاملة ، وتقسيم هذه القواعد الى :

ا) قواعد خاصة بالقرآن الكريم ولاصحاب الاختصاص .

ب) قواعد لطلاب المدارس الابتدائية على شرط أن تكون موضوعة بشكل دائري لا على اسلوب التشتيت الذي يخرج الطالب من القواعد وهو لا يفهم منها لا قليلا ولا كثيرا .

ج) قواعد لطلاب المدارس الثانوية توسع فيها دائرة ما درسوه في المدارس الابتدائية توسيعا .

د) قواعد لطلاب الادب في الجامعات توسع فيه الدائرة ليظل الطالب على صلة بما مر عليه في شتى الدراسات السابقة .

* * *

3 — أن يؤلف لنا قاموسان :

ا) قاموس للمدارس تعبر فيه كل الاحرف اصولا، يصور احسن تصوير ويطبع احسن طباعة .

ب) وقاموس جامع تعتبر فيه كل الاحرف اصولا يشتمل على الاصطلاحات العلمية والفنية ويصور ادق تصوير ويطبع احسن طباعة ، وتنحى منه الكلمات المهجورة بحيث توضع في قاموس خاص يرجع اليه العلماء كما يرجع الباحثون الى دور الآثار.

4 — الاهتمام بمعلم اللغة العربية اهتماما يجعله يعشق هذه اللغة ليستطيع ان ينقل هيامه باللغة الى طلابه . فنمنحه الراتب الذي يشعره بالكرامة والاعتزاز ! ..

5 — تجديد المناهج والكتب المقررة ، والحيلولة دون تأميم الكتب لانه تأميم للعقل وتجميد للفكر !

6 — استعمال اللغة العربية فى التعليم الجامعي ، على شرط أن يكون الطالب الثانوي والجامعي متقنا لغة اجنبية حية مع لغته العربية — على الاقل — ليتمكن من الرجوع الى المصادر الاجنبية، وليتمكن من مواكبة سير العالم وتطوره .

7) استعمال المصادر العلمية بلفظها الاصلي مع ترجمتها الى العربية .

8) توحيد المصطلحات العلمية فى البلاد العربية وتعميمها بوساطة لجنة تنتخب من المجامع العلمية كافة .

9 — تبادل اساتذة اللغة العربية بين البلاد العربية .

10 — تعزيز المكتبة العربية بكتب مترجمة صحيحة ، وكتب بعثت من التراث القديم مبسطة تبسيطا يجعلها سائغة لمن يريد المطالعة .

11 — الاستعانة بكل ذي خبرة من خارج الجهاز الحكومي ، لانه ليس من المفروض ان اجهزة الحكومة قد ضمت كل نابه فى علمه وفى فنه .

اشهر دعائم هذه الآراء .

1 — القرآن الكريم
2 — نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها — للاب انستاس ماري الكرملي
3 — الكتابة العربية المنقحة — للاب انستاس ماري الكرملي
4 — الفهرست — لابن النديم
5 — وفيات الاعيان — لابن خلكان
6 — صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي — فاضل الطائي
7 — آراء فى اللغة العربية — لرشيد عامر السامرائي
8 — فلسفة اللغة العربية وتطورها — لجبر ضومط
9 — كتاب الصيدنة — للبيروني
10 — مقدمة ابن خلدون . — ابن خلدون
11 — حضارة العرب — لغوستاف لوبون — ترجمة المرحوم عادل زعيتر .
12 — المزهر فى علوم اللغة — لجلال الدين السيوطي ج 1 .
13 — كتاب الحيوان — للجاحظ ج 1
14 — المستشرقون — لعفيفي
15 — كتاب تاريخ آداب اللغة العربية — للمرحوم الرافعي
16— مقدمة الالياذة — المرحوم سليمان البستاني
17 — الرد على النحاة — تحقيق شوقي ضيف .
18 — معجم عطية .